سلطة اللغة في الصحيفة السجادية مقاربة تداولية

م.د. صادق عباس هادي الطريحي كلية التربية/ جامعة القادسية / قسم اللغة العربية

التمهيد

أولاً: اللّغة وسلطة اللّغة

قدمت للغة تعريفات كثيرة جدًا، فمثلًا يعرفها ابن جني (٣٩٢ ه) بـ " أنّها أصواتُ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (١) ويمثل هذا التعريف وصفًا خارجيًّا للغة، لا ينفذ إلى كلّ خصائصها، وعملها، مع ما به إشارة إلى عملية التواصل بين الناس. ويعرف فرديناند دي سوسير (١٩١٦) اللغة بـ " نظام من الإشارات أو العلامات اللغوية المرتبطة بمشير صوتي لغوي (الدال) يتحد مع تصور ذهني (المدلول) وهو الشيء المتحدث عنه أو المشار إليه، والعلاقة بين الدال والمدلول، علاقة رمزية اعتباطية" (١) وربط دي سوسير بين اللغة و علم النفس الاجتماعي، فقال في كتابه " كل ما في اللغة إنما في جوهره نفسي، بما في ذلك مادة اللغة، ومظاهرها الآلية. " (١) وقال أيضًا، إنّ مركز اللغة في الدماغ هي منطقة بروكا، الموجودة في الجزء الأمامي من الجانب الأيسر من الدماغ، وأيّ خلل بها يؤدي إلى اضطرابات في الكلام أو الكتابة، ويؤكد دي سوسير أنّ اللغة ملكة حقيقية، تؤديها حركات الأعضاء، وتتحكم بها ملكة عقلية عامة، ويرى دي سوسير أيضا، أنّ الأعمال الفسيولوجية التي تنتج اللغة، مثل الحبال الصوتية، والقوانين الفيزيائية تقع خارج نطاق الفرد. (١) ويخلص الباحث إلى أنّ للغة سلطة فسيولوجية، تؤثر في مستعملي اللغة في حالتي خارج نطاق الفرد. (١) ويخلص الباحث إلى أنّ للغة سلطة فسيولوجية، تؤثر في مستعملي اللغة في حالتي الإنتاج والاستقبال.

لكن العالم اللغويّ الشهير نعوم جومسكي، قدّم تعريفًا مختلفا للغة في كتابه (البنى النحوية) الذي صدر في العام ١٩٥٧، وهو الذي أنشأ نظرية النحو التحويلي. فعرف اللغة بـ " أنها مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجُمل، كلّ منها متناه في الطول، ومكونة من مجموعة من العناصر المتناهية ". (٥)

ومن الواضح أنّ هذا التعريف يقدم صورة مختلفة جدًا للغة، فهو يَشمل أشياء كثيرة إلى جانب اللغة الطبيعية، خلافًا للتعريفات الأخرى، فاللغات الطبيعية كلها على وفق جومسكي في هذا التعريف، سواءً في أشكالِها المنطوقة أو المكتوبة لغات، من خلال ما يأتي:

إنّ في كلّ لغة طبيعية عددًا متناهيًا من الأصوات، وعددًا متناهيًا من الحروف في أبجدياتها، هذا على افتراض أنّ لها نظامًا أبجديًا للكتابة. وإنّنا نستطيع أن ننظر إلى أيّة جملة في اللغة، على أنّها سلسلة متناهية من هذه الأصوات أو الحروف، على الرغم من احتمال وجود عدد غير متناه من الجُمل المتمايزة في اللغة. (٦) واللغة في نظرية جومسكي التحويلية، نظام فطريّ كامن في عقل الانسان منذ الولادة يتحكم فيه جهاز وهمي أطلق عليه Language Acquisition Device ويستطيع الانسان بوساطته، من خلال عدد قليل من الجمل التي يسمعها في لغته أن ينتج، أو يولد عددًا غير محددٍ من الجمل الأخرى التي لم يسمعها من قبل، وأن يحكم بالصواب أو الخطأ على الجمل التي يسمعها، بحيث يستطيع تحويل المعنى في ذهنه إلى أشكال سطحية مفهومة، من خلال القواعد التوليدية التحويلية.

ومن الواضح صورة السلطة القواعدية في هذا النظام النحوي، فعلى الرغم من قدرة الانسان على توليد عدد غير متناه من الجمل إلا أن هذه الجمل الجديدة تابعة للنظام النحوي الأصلي.

ويمكننا القول الآن إنّ اللغة التي هي وسيلة للتفاهم، وتبادل الأفكار، تتألف من عدد لا متناه من الكلمات والجمل، ولها وجهان، وجه شكلي، ووجه وظيفيّ، فالوجه الشكلي هو أنّ اللغة مجموعة من الأصوات تمثل الوحدات اللغوية الصغرى، وباتحادها مع بعضها، تشكل الكلمة، وباتحاد عدة كلمات تشكل الجملة ضمن ضوابط محددة، تسمى قواعد اللغة، تحدد الاتحادات المسموح بها، صوتيّا، وصرفيًا، ونحويًا. أما الوجه الوظيفي للغة فهو مهارة اجتماعية ترضي حاجات الفرد والمجتمع، وهي ضرورة حياتية تفوق في أهميتها كل الأنظمة الاتصالية الأخرى، من إشارات المرور، وتعابير الوجه، ورموز الأماكن، وغيرها. ويواجهنا الآن سؤال مهم: هل اللغة نظام مفتوح أم مغلق؟ وفي الواقع أنّ اللغة نظام مفتوح ومغلق في الوقت نفسه، فهي نظام مغلق من الناحية الشكلية؛ لأنّ قوانين القواعد لغوية بحتة، لا تتأثر بالعوامل

الشخصية أو البيئية أو الاجتماعية. لكن اللغة نظام مفتوح من الناحية الوظيفية، أي أنها جزء من الحضارة، وأنّ تعلم لغة ما، يعنى تعلم صحتها الاجتماعية التداولية. (٧)

وتتحدد سلطة اللغة من خلال العناصر السياقية، وسلطتها على المستعمل اللغوي في عملية الخطاب، وتتضح سلطة اللغة على المرسل في أنه يستطيع استعمال الكثير من الأدوات، إلا أنّ بعضًا من الأفعال لا ينجزها إلا باستعمال اللغة، بوصفها أداته الرئيسة، وتكمن سلطة اللغة بأنظمتها وقواعدها التي تلزم الفرد على النقيد بها، والاستجابة لقوانينها، وإن احترام هذه الأنظمة المكتسبة تمكن الفرد من كفاءته أو قدرته اللغوية. أما الخروج على هذه الأنظمة يجعل الخطاب، نوعا من التعمية، وخاصًا بين طرفين. (^) وربما يبقى في حيز طرف المنتج فقط!!

ويرى ياكوبسن أنّ اللغة سلطة تشريعية، قانونها اللسان، ونحن لا نلحظ السلطة التي ينطوي عليها اللسان؛ لأننا ننسى أنّ كلّ لسان تصنيف، وكل تصنيف ينطوي على نوع من القهر، الذي يعني في الوقت نفسه التوزيع والارغام. (1)

ومن اللسانيين المحدثين الذين توصلوا إلى سلطة اللغة، هو الدكتور عبد السلام المسدي، في كتابه (السياسة وسلطة اللغة) فقد توصل إلى أنّ اللغة سلطة في ذاتها، وقد أضحت الآن هي النواة المركزية الجديدة للكون، وأنها مركز الفعل الذي يتحول الإنسان فيه من واقع الإدراك والتأمل إلى ساحة تغيير ما يتأمل فيه. وتوصل أيضا إلى أنّ لكل لغة من لغات البشر قوانين تنتظمها، وتشد أوصالها بحبل متين لا تراه العيون المجردة، كالأسلاك المعدنية التي تتخلل الأسمنت المسلح، بحيث تصير تلك القوانين أعرافا يتخاطب بها أفراد المجموعة المنتسبين إليها بشكل أصليّ، أو بشكل طارئ، وفي القوانين العامة ثمة قوانين أقلّ منها عمومية تجعل للكلام الأدبي ترتيباته الخاصة، وللكلام القانوني حيثياته، وللكلام العلمي قواعده أيضا، وتجعل للكلام السياسي ضوابطه، وقوانينه، بحسب تصور المتكلم للمعايير الشائعة بين أهل ذاك الحقل الشاسع الفسيح الذي لا يخرج من تحت سقفه كائن مهما كان. (١٠)

ثانيًا: التداولية

تأتي التداولية في اللغة بمعنى: تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّول. فقالوا: دَواليك؛ أي مداوَلَةً على الأمر. ودالت الأيام؛ أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي؛ أي أخذته هذه مرّة، وهذه مرّة. والماشي يداول بين قدميه؛ أي يراوح بينهما. (١١)

كما هو معروف عند الباحثين فإن مفهوم التداولية (Pragmatics) في الدراسات العربية قد أخذ تعريفات عدة، فالدكتور أحمد المتوكل في كتابه (اللسانيات الوظيفية) يستعمل الوظيفية والتداولية بمفهوم واحد، ويستخدم الدكتور سعد البازعي، والدكتور ميجان الرويلي مصطلح (الذرائعية) في كتابهما (دليل الناقد الأدبي) أما الدكتور محمد محمد يونس في كتابه (مدخل إلى اللسانيات) فيستعمل مصطلح (علم التخاطب)، وهو المصطلح الذي يحبذه. (۱۲) بل يبدو أنّ مصطلح التداولية على درجة من الغموض، إذ يقترن به في اللغة الفرنسية المعنيان الأتيان "محسوس" و "ملائم للحقيقة" أما في الإنكليزية التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية فإن الكلمة تدل في الغالب على "ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية" و هكذا يبدو للوهلة الأولى، أنّ هذا الحقل ضخم جدا، ووضعت فيه الكثير من أعمال اللسانيات، وعلم الاجتماع والأنثر وبولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي ... (۱۳).

ويعود التنوع في تعريفات التداولية إلى أمرين: الأول، تداخلها مع جملة من العلوم، مثل علم اللغة النفسي، وعلم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، والفلسفة التحليلية، وغيرها. والأمر الثاني، هو تنوع النظريات المؤسسة للتداولية أو المشكلة فيها فيما بعد. (١٤)

ومن تعريفات التداولية " دراسة اللغة، قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية، أي هي دراسة الكلمات والجمل كما نستعملها ونفهمها، ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية. " (١٥)

وعرض الدكتور مجيد الماشطة في كتابه (شظايا لسانية) تعريفات عدة للتداولية، فهي عند رائدها الأول تشارلس موريس ١٩٣٨ " دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها، وبما أنّ كلّ مفسري العلامات كائنات

حية، فمن الصواب القول إنها تهتم بعملية إنتاج اللغة وبمنتجيها، وليس فقط بالنتاج نفسه أي باللغة" وعرفها فيرشورن " تدرس التداولية كل شيء إنساني في العملية التواصلية، سواء كان نفسيا أو بايولوجيا أو اجتماعيا " ويرى فيرشورن أيضا أنّ " التداولية تدرس السلوك اللفظي الإنساني، البعد الذي تدرسه التداولية هو الصلة بين الله وحياة الانسان، بشكل عام، لهذا فالتداولية هي الصلة بين اللسانيات وباقي العلوم الاجتماعية" (١٦)

وتدرس التداولية اللغة العادية واللغة اللاعادية (اللغة الشعرية، اللغة الروائية، اللغة الدرامية ..) وحضور الأنا والأنت، والسياق التواصلي، والوظيفة المقامية والمقالية، والانتقال من الحرفي إلى الإنجازي، ودراسة الحجاج في النصوص والخطابات، التي يكون هدفها هو الاقناع الذهني، والتأثير العاطفي الوجداني، وأيضا دراسة السرد الإقناعي وتدرس التداولية كذلك، الإشاريات، وأفعال الكلام، والمقصدية، والوظيفة والسياق، والإحالة المرجعية، والحجاج اللغوي، والاقناع والحوارية. (١٧)

وتهتم التداولية في جانب من جوانبها بالقدرة اللغوية الاجتماعية، وقدرة الحوار، وقدرة التخطيط. وإذا كانت القدرة اللغوية عند جومسكي تعني "ضبط القوانين التي تمكن المرء من التعبير الصحيح، عن المعنى الحرفي للتفوه على الأصعدة النحوية والصرفية والصوتية والمفردية" فإن القدرة اللغوية الاجتماعية تحدد ملاءمة تفوه ما في سياق اجتماعي محدد، مثل المحيط والعلاقة، بين دوري المتكلم والسامع. وتشير لفظة القدرة اللغوية الاجتماعية إلى ملاءمة المعنى، أي إذا كان حدث كلام معين مناسبا لحالة معينة، في حين تشير لفظة القدرة اللغوية التداولية إلى التحقق اللغوي للمعنى، وإلى أيّ مدى يتمثل معنى ما بشكل مناسب في سياق لغوي اجتماعي معين.

ويشير مفهوم (قدرة الحوار) الى ملاءمة التفوهات لنصوصها اللغوية، أي إلى معرفة كيفية توحيد الجمل في نص شفوي أو مكتوب، عبر التنسيق في الشكل، مثل: الحذف الوصل الترادف، الاضمار، فضلا عن التناوب في بدء الحوار وإنهائه.

أما مفهوم (القدرة التخطيطية) فهي عنصر تعويض يمكن المتكلم من التعويض عن أية فجوة في نظام معرفته، أو أيّ عيب في طلاقته وتستخدم لمعالجة أيّ توقف في التواصل ولزيادة تأثير التواصل كما يستخدمها المرء عندما تخونه الذاكرة، وهي أكثر أهمية في استخدام اللغة الأجنبية. (١٨)

ويحاول هذا البحث تسليط الضوء على بعض أدعية الصحيفة السجادية، من خلال بعض مفاهيم التداولية. المبحث الأول: سلطة اللغة في الصحيفة السجادية: التواصل والاقناع.

أولا: التواصل من خلال الخطاب:

استطاع الإمام السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية التواصل مع الأخرين، المتفقين معه، أو المختلفين معه، من خلال تكوين خطاب أدبي هو الدعاء، والخطاب في اللغة هو مصدر الفعل خاطب، يخاطب مخاطبة، خطابا، ويدل على توجيه الكلام لمن يفهم، وفي لسان العرب، الخطاب مراجعة الكلام. (١٩) وللخطاب في المصطلح الأدبي عدة تعريفات منها: "جملة من المنطوقات أو التشكلات الأدائية التي تنتظم في سلسلة معينة لتنتج على نحو تاريخي دلالة ما وتحقق أثرا معينا " (٢٠) ويقوم الخطاب على جملة من العناصر هي: المرسل، وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، وعليه أن يجسد ذاته من خلال خطابه، وهو الذي يوظف اللغة في مستوياتها. ثم المرسل إليه، وهو الطرف الأخر الذي يوجه المرسل له الخطاب عمدا، وهو الذي يحد مستوى الخطاب النحوي، مثل التذكير والتأنيث، ولا شك في أنّ بناء الخطاب مرهون بمعرفة حال المخاطب، أو افتراض ذلك الحال، ويجب أن يكون المرسل إليه حاضرا في ذهن المرسل، بمعرفة حال المخاطب، أو افتراض ذلك الحال، ويجب أن يكون المرسل والمرسل إليه، فهل العلاقة رسمية، مثلا؟ وما الضمائر المناسبة لمخاطبة المرسل إليه. (٢١).

ولو تفحصنا طبيعة الخطاب في الصحيفة السجادية، لوجدنا أنّ المرسل هو الداعي، وهو الإمام السجاد (عليه السلام) وأنّ المرسل إليه هو المدعو، وهو الله سبحانه وتعالى، وأنّ السياق هو خطاب الدعاء، ويتجه الخطاب من الأدنى، المرسل أو الداعي، إلى الأعلى، المرسل إليه، أو المدعو من خلال " شبكة من الضمائر: حيث تتغير الضمائر العائدة إلى كل من الداعي والمدعو بحسب المواقف، فيتكلم الداعي بصيغة

الجميع، يتقمص لسان الجماعة، ويستحضر المدعو عن طريق المخاطبة، أو يشار إليه بضمير الغائب، وهو حاضر في كل نص " (٢٢) وتنوعت أساليب الطلب الواردة في الصحيفة السجادية، ومن تلك الأساليب أسلوب الأمر، جاء في أحد أدعية الصحيفة: ((إلهي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيًّ)) و((وَبِحِلْمِكَ عَنِي اعْفُ عَنِي)) و((وَبِحِلْمِكَ عَنِي اعْفُ عَنِي)) و((وَبِحِلْمِكَ بِي ارْفَقْ بِي)). (٢٣) والخطاب هنا بصيغة ضمير المتكلم، ويلحظ هنا أسلوب الطلب، أو الأمر، الذي خرج بصيغته البلاغية إلى الدعاء، إذ يصدر الخطاب من الأدنى إلى الأعلى.

ويرى رونالد بارت، أنّ للحصول على الحرية من سلطة اللغة؛ لا محيد لنا إلّا عن طريق المستحيل: إمّا بفضل الوحدة الصوفية، مثلما وصفها كبيركغارد، عندما حدد فداء إبراهيم كفعل لا مثيل له خال من أيّ كلام، حتى ولو كان باطنيا، يقوم ضد شمولية اللغة وتبعيتها وطاعتها، أو بفعل آمين نيتشة الذي يشبه خلخلة مبتهجة موجهة ضد استعباد اللغة. (٢٤) وهنا تظهر قدرة الإمام السجاد (عليه السلام) على تخطي السلطة اللغوية، والتغلب عليها، من خلال الدعاء، أو الوحدة الصوفية، أو كلمة آمين، ونرى هنا أنه استطاع أن يظهر عظمة الخالق من خلال استعمال الكلمات الدالة على السلطة، والقوة والمعرفة، ومن خلال الألفاظ المتقابلة، فكلمة القدرة التي من معانيها القوة والسيطرة، تقابل كلمة التوبة، التي من معانيها الرجوع والإذعان، وكذلك كلمة الحلم، وهي من صفات الكمال الإنسانية التي تعني الأناة وضبط النفس، تقابل كلمة العفو، التي هي الصفح عن الذنوب. وكذلك كلمة العلم، وهي التي تعني المعرفة، والمعرفة هي القوة، والسلطة، تقابل كلمة الرفق التي يحتاجها الكائن الضعيف.

ومن دعائه (عليه السلام) في الاستسقاء بصيغة الجماعة ((اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْثاً مَغيثاً مَريعاً مُمْرعاً عَريْضاً، وَاسْعاً غَزِيراً تَرُدُّ بِهِ النَّهِيضَ وَتَجْبُرُ بِهِ الْمَهِيضَ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقْياً تُسِيلُ مِنْهُ الظِّرابَ، وَتَمْلا مِنْهُ الْجِبَابَ، وَتُمْلا مِنْهُ الْجَبَابَ وَتُوْرِبُ بِهِ الاسْعار فِي جَمِيع الامْصار، وَتَنْعَشُ بِهِ البَهَائِمَ وَالْخَلْقَ، وَتُفَجِّرُ بِهِ الانْهَارَ، وَتُنْبِثُ بِهِ الاسْجَار وَتُرْخِصُ بِهِ الاسْعَار فِي جَمِيع الامْصار، وَتَنْعَشُ بِهِ البَهَائِمَ وَالْخَلْقَ، وَتُكْمِلُ لَنَا بِهِ طَيِّبَاتِ الرِّرْقِ، وَتُنْبِثُ لَنَا بِهِ الزَّرْعَ، وَتُذِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزيدُنَا بِهِ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِنَا.)) (٢٠) وقد اختار الإمام (عليه السلام) صيغة الجماعة؛ لأنّ الاستسقاء خير يعم الجميع، وليس فردًا واحدًا، وتلحظ مفردات السلطة والقوة، فالله سبحانه وتعالى هو الساقى، وهو صاحب الغيث، وهو المجبر، أي صاحب

القوة، والداعون هم المهيضون، أي المكسورو الجناح، وهو المنبت، والمنعش، والمكمل، والمفجّر... وقد أسند جميع ألفاظ القوة أو السلطة إلى الله سبحانه وتعالى.

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي " أنّ اللغة سياسة؛ لأنّ اللفظ عند استخدامك إياه، فيها يتحول من مجرد دال يحيل على مدلول إلى موقف ... وقد يكون في استعمال الكلمة أو العبارة ما يتجاوز حدود الواقعة التي تروم الإفصاح عنها ويصبح حاملا لأعباء التاريخ مختز لا صراعاته الطويلة في اختيار كلمة واحدة من بين كلمات عديدة ... وكم من مفردة خرجت من قاموس اللغة ودخلت قاموس السياسة فتبدلت ملامحها وغنمت من طاقات الدلالة وزنا لم يكن لها من قبل" (٢٦).

ويخلص الباحث إلى أنّ الإمام السّجاد (عليه السلام) قد استطاع أن يستعمل الكلمة استعمالاً موفقا، من أجل الخير، وليس من أجل السلطة الدنيوية التي يسعى لها أصحاب السياسة، وذلك من خلال فنّ الدعاء الذي هو فنّ أدبيّ من فنون الأدب، مثل الشعر أو القصة أو المسرحية، ...، نستطيع بوساطته التغلب على السلطة اللغوية، بوصفها مجموعة من الأنظمة الساكنة؛ لنجعلها أنظمة أخرى تحيا، وهي ما نطلق عليه بالأدبية أو الشعرية، بتعبير باكوبسن.

ثانيا: الاقناع من خلال الحجاج

يعد الإقناع هدف الخطاب الرئيس، أو أحد استراتيجياته، ويرمي المرسل إلى إقناع المرسل إليه بما يراه، إي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي، وترمي استراتيجية الإقناع أيضا إلى تحقيق أهداف المرسل النفعية، ولكن بغير إكراه. ولكي يستعمل المرسل الإقناع عليه أن يلجأ إلى أسلوب الحجاج. (٢٠). ولكن يواجهنا الأن سؤال مهم في دراسة الصحيفة السجادية، لأن المرسل إليه هنا هو الله، سبحانه وتعالى، فهل يحتاج الله إلى الإقناع؟ وهل يستطيع المرسل إحداث تغيير في المواقف الفكرية أو العاطفية عند الله سبحانه وتعالى؟؟

تشير الكثير من الآيات القرآنية مثل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (سورة غافر، الآية ٦٠) إلى أن الدعاء هو عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى،

والعبادة هي التربية، وكأن الله سبحانه وتعالى يعلمنا التربية من خلال الدعاء، لنبلغ حالة الرشد، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٨٦) أي كما خرج الأمر في البلاغة إلى الدعاء، يخرج الاقناع من أقناع المرسل إليه، إلى أقناع من يشاركون المرسل هذا الدعاء. أي متلقي هذا الدعاء.

وإذا علمنا أنّ استراتيجية الاقناع تؤدي وظيفة تربوية، لاستعمالها كثيرا في الدعوة إلى الله، (٢٨)؛ أدركنا سرّ استخدام الإمام السجاد عليه السلام لأسلوب الدعاء في الدعوة إلى الله. لأنّ الدعاء أعدّ للقراءة والاستماع، وللاستعمال من قبل المتلقى، ليس في زمن منتجه فقط، بل في سائر الأزمنة والأمكنة.

وقد تحققت بلاغة الحجاج في الصحيفة السجادية في مواضع كثيرة جدا، نشير إلى بعضها في هذا المبحث، فيمكننا أن نلاحظ ظاهرة التكرار، مثل تكرار عبارة ((اللهم صلل على مُحَمدٍ وآلِ مُحَمد)) وهي جملة موسيقية إيقاعية، تشدّ السامع، أو المتلقي إلى الاصغاء.

وقد ختم عليه السلام بعض الأدعية بآية من القرآن الكريم، فقد ختم دعاءه في مكارم الأخلاق، بقوله تعالى {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (سورة البقرة، ٢٠١) وختم دعاءه إذا قتّر عليه الرزق بالآية الكريمة {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (سورة الذاريات، ٢٢). وقد ضمن عليه السلام بعض أدعيته آيات من القرآن الكريم، كما في دعائه في حمد الله تعالى على نعمه التي جحدها الإنسان: ((حتّى إذا بلغَ أقصى أثره، واستوعبَ حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه، {ليُجزيَ الذين أساءُوا بما عَمِلوا ويُجزيَ الذين أحسنوا بالحُسنى} (النجم، ٣١) ... نقدست أسماؤه، وتظاهرت آلاؤه، {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (الأنبياء، ٢١) والحمدُ للهِ الذي لو حبسَ عن عباده معرفة حمدِه على ما أبلاهم من مننهِ المتتابعة، فكانوا كما وصف في محكم كتابه {إنْ هُمْ أَضَلُ سَبِيلًا} (الفرقان، ٤٤).

ولا شك في أنّ الآيات القرآنية تفضي على المستمع المزيد من الخشوع والرهبة، قال سبحانه وتعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (سورة الأعراف، ٢٠٤).

ولمّا كانت استراتيجية الاقناع تؤدي وظيفة تربوية، فقد كانت الكثير من أدعيته عليه السلام تدعو إلى عبادة الله، والنظر في صفاته وعظمته، جاء في دعائه عليه السلام، وهو دعاء في اللجوء إلى الله تعالى ((اللّهُمّ إنْ تشأ تعف عنّا فبفضلك وإنْ تشأ تعذبنا فبعدلك فسهّل لنا عفوَك بمَنك وأجِرْنا مِن عذابك بتجاوزك فإنه لا طاقة لنا بعدلك ولا نجاة لأحدٍ منّا دون عفوك يا غنيّ الأغنياء ها نحن عبادُك بين يديك وأنا أفقر الفقراء إليك فاجبر فاقتنا بوسعك ...)) (٢٩). ويظهر الإمام لنا في هذا الدعاء قبول الإنسان بعدالة المعبود حتى وإن عذبنا، وإن عفا عنا فبفضله سبحانه وتعالى، ويبدو لنا الإنسان في هذا الدعاء أنّه ضعيف إزاء عدالة الله، وذلك لكثرة ذنوبه وتجاوزه.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية في الصحيفة السجادية

وهي صنف من الأفعال الكلامية، وهي نظرية تدرس ضمن التداولية وضعها الفيلسوف الانكليزي جون لانجشو أوستين، وطورها العالمان سيرل، وغرايس، ابتدأ أوستين بكتابه (نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام) (٢٠). أولًا بالتمييز بين الجمل الوصفيّة، والأخرى الإنشائيّة، فالأولى تخضع لحكم الصدق والكذب في حين ترتبط الأخرى بالنجاح والإخفاق، غير أنّ أوستن سرعان ما كشف أنّه لا جدوى من هذا التقسيم، مؤكدًا أنّ كلّ جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد توافق على الأقل إنجاز عمل قولي، وعمل متضمن في القول. (٢١) وقد صنف أوستين (قوة فعل الكلام) كما يسميها إلى خمسة أصناف، هي:(٢١)

- ٢ ـ الممارسات التشريعية
 - ٣ ضروب الإباحة.
 - ٤ ـ الأوضاع السلوكية.
- ٥ ـ المعروضات الموصوفة.

وسيقتصر هذا المبحث على صنف الأوضاع السلوكية فقط، والمقصود بالأوضاع السلوكية "ردود الأفعال على سلوك الآخرين وعلى ما لاقوه من نجاح أو فشل في مزاولتهم لذلك النشاط أو السلوك كما تتضمن

أيضا المواقف وضروب التعبير عن أوضاع السلوك الماضية مما قام به الآخرون أو ما يحتمل يقع من تصرفاتهم" (٣٦) وتتضمن الأفعال السلوكية عند أوستين: الشكر، والاعتذار، والتعاطف، والامتعاض، وحسن الاستقبال، والتمني، والتحدي. ومن الممكن أن نضيف لها مواقف أخرى مثل الخوف، الحزن، الحب، الاستغاثة، ...

ولنأخذ دعائه عليه السلام إذا أحزنه أمرٌ وأهمته الخطايا، ففيه الكثير من الأفعال الكلامية الدالة على الانفعالات والحالات النفسية:

((أَللَّهُمَّ يَا كَافِيَ الْفَرْدِ الضَعِيْفِ، وَوَاقِيَ الامْرِ الْمَخُوْفِ، أَفْرَدَتْنِي الْخَطَايَا؛ فَلاَ صَاحِبَ مَعِي، وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ؛ فَلاَ مُوَيِّدَ لِي، وَأَشْرَفْتُ عَلَى خَوْفِ لِقَائِكَ؛ فَلاَ مُسَكِّنَ لِرَوْعَتِي، وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي؟ وَمَنْ يَسُوبُكِ؛ فَلاَ مُسَكِّنَ لِرَوْعَتِي، وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي؟ وَمَنْ يُقَوِيْنِي وَأَنْتَ أَضْعَفْتَنِي؟

لاَ يُجِيرُ يا إلهي إلاّ رَبُّ عَلَى مَرْبُوب، وَلاَ يُؤْمِنُ إلاّ غالِبٌ عَلَى مَغْلُوب، وَلاَ يُعِينُ إلاّ طالِبٌ عَلَى مَطْلُوب، وَلاَ يُعِينُ إلاّ طالِبٌ عَلَى مَطْلُوب، وَبِيَدِكَ يَا إلهي جَمِيعُ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَإِلَيْكَ الْمَفَرُّ وَالْمَهْرِبُ.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأَجِرْ هَرَبِي وَأَنْجِحْ مَطْلَبِي.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ صَرَفْتَ عَنِي وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ، أَوْ مَنَعْتَنِي فَصْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ أَوْ قَطَعْتَ عَنِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ صَرَفْتَ عَنِي وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ، أَوْ مَنَعْتَنِي فَصْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ؛ فَإِنِي عَبْدُكَ، وَفِي سَبَبَكَ لَمْ أَجِدِ السَّبِيلَ إِلَى شَيْء مِنْ أَمَلِي عَيْرَكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ؛ فَإِنِي عَلَى الْخُرُوجِ قَبْضَتَتِكَ نَاصِيتِي بِيَدِكَ، لاَ أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكَ، مَاضِ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَصَاؤُكَ، وَلاَ قُوةَ لِي عَلَى الْخُرُوجِ فَبْضَتَتِي بِيَدِكَ، لاَ أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكَ، مَاضِ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَصَاؤُكَ، وَلاَ أَنْلُ مَا عِنْدَكَ إِلاَّ مِنْ سُلْطَانِكَ، وَلاَ أَسْتَطِيعُ مُجَاوَزَةَ قُدْرَتِكَ، وَلاَ أَسْتَمِيلُ هَوَاكَ، وَلاَ أَبْلُغُ رِضَاكَ، وَلاَ أَنالُ مَا عِنْدَكَ إِلاَّ فِي قَضْلُ رَحْمَتِكَ. وَهَضْل رَحْمَتِكَ.

إلهي أَصْبَحْثُ وَأَمْسَيْتُ عَبْداً دَاخِراً لَكَ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إلاَّ بِكَ أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِي وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي وَقِلَّةٍ حِيْلَتِي فَأَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَتَمِّمْ لِي مَا آتَيْتَنِي؛ فَإنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ الْمُسْتَكِينُ الْمُسْتَكِينُ الْمُسْتَجِينُ الْمُسْتَجِينُ الْمُسْتَجِينُ الْمُسْتَجِينُ الْمُسْتَجِينُ الْمُسْتَجِينُ الْمُعَينُ الْمُعَينُ الْفَقِيلُ الْخَافِفُ الْمُسْتَجِينُ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَلاَ تَجْعَلْنِي نَاسِيَاً لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي، وَلاَ غافِلاً لاحْسَانِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَنِي، وَلاَ آيسَاً مِنْ إِجَابَتِكَ لِي وَإِنْ أَبْطَأْتَ عَنِّي فِي سَرَّاءَ كُنْتُ أَوْ ضَرَّاءَ، أَوْ شِدَّة أَوْ رَخَاء، أَوْ عَافِيَة أَوْ بَلاء، أَوْ بُوْس أَوْ نَعْمَاء، أَوْ جِدَة أَوْ لاَوَاءَ، أَوْ فَقْر أَوْ غِنىً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَ آلِهِ وَاجْعَلْ ثَنَائِي عَلَيْكَ وَمَدْحِي إِيَّاكَ وَحَمْدِي لَكَ فِي كُلِّ حَالاَتِي حَتَّى لاَ أَفْرَحَ بِمَا التَّيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا، وَلاَ أَحْزَنَ عَلَى مَا مَنَعْتَنِي فِيهَا، وَأَشْعِرْ قَلْبِي تَقْوَاكَ، وَاسْنَعْمِلْ بَدَنِي فِيْمَا تَقْبَلُهُ مِنِي، وَاشْغَلْ بِطَاعَتِكَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ مَايَرِدُ عَلَىَّ حَتَّى لاَ أُحِبَّ شَيْئًا مِنْ سُخْطِكَ، وَلا أَسْخَطَ شَيْئًا مِنْ رضَىاكَ. وَاشْغَلْ بِطَاعَتِكَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ مَايَرِدُ عَلَىَّ حَتَّى لاَ أُحِبَّ شَيْئًا مِنْ سُخْطِكَ، وَلا أَسْخَطَ شَيْئًا مِنْ رضَىاكَ. أَللَّهُمَّ صَلَلِ عَلَى مُحَمَّد وَ آلِهِ وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ، وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ، وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَأَلِهِ وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحْبَتِكَ، وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ، وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَأَمِلُهُ إِلَيْكَ، وَأَمِلُهُ إِلَى طَاعَتِكَ، وَأَجْرِ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّبُلِ إِلَيْكَ، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ أَيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا، وَاجْعَلْ تَقُواكَ مِنَ الدُّنْيَا زَادِي، وَإِلَى رَحْمَتِكَ رَحْلَتِي، وَفِي مَرْضَاتِكَ مَدْخَلِى.

وَاجْعَلْ فِي جَنَّتِكَ مَثْوَايَ، وَهَبْ لِي قُوَّةً أَحْتَمِلُ بِهَا جَمِيعَ مَرْضَىَاتِكَ، وَاجْعَلْ فِرَارِي اِلَيْكَ، وَرَغْبَتِي فِيمَا عِنْدَكَ، وَأَلْبِسْ قَلْبِي الْوَحْشَةَ مِنْ شِرارٍ خَلْقِكَ.

وَهَبْ لِي الْأَنْسَ بِكَ وَبِأَوْلِيَ آنِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِر وَلاَكَافِر عَلَيَّ مِنَّةً، وَلاَ لَـهُ عِنْدِي يَداً، وَلا بِي النَّهِمْ حَاجَةً، بَل اجْعَلْ سُكُونَ قَلْبِي وَأَنْسَ نَفْسِي وَاسْتِغْنَائِي وَكِفَايَتِي بِكَ وَبِخِيَارٍ خَلْقِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ قَرِيناً، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ نَصِيْراً، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِشَوْق إلَيْكَ، وَبِالْعَمَلِ لَكُ مِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ، وَذَلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ.))

ويلحظ في هذا الدعاء الكثير من الانفعالات النفسية المشتركة بين بني البشر جميعا، مثل: الخوف، والوجل، والروع، والشعور بالإثم، والضعف، والخوف من حظر الرزق، والشعور بالوحدة، والفرح، والحزن، والشكر، ... فمم كان يخاف؟ ولماذا يشعر بالوحدة؟ ولماذا يخاف من حظر الرزق؟ وقبل تحليل هذا الدعاء، علينا أن نأخذ صورة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد كان كثير البرّ بالمعوزين، ولم يعلم أحد بهذا البرّ حتى توفيّ عليه السلام، وقد "عاش زين العابدين في عصر كان يموج بالفتن والمكاره والحتوف، في العصر الذي كان يسعى فيه الأمويون لاستئصال شأفة أهل البيت ... وقد بقيت تلك المكاره مرسومة

في خيال زين العابدين" (٣٤)

وسنبدأ بكلمة (اللَّهمّ) وهي الأكثر دورانا في الصحيفة السجادية، وهي بناء مركب عند النحاة، وهي للنداء، وأصلها يا الله؛ لأنّ الميم بدل الياء. (٣٥) والنداء لله سبحانه وتعالى، يعني إقامة حوار معه، فليس هو بالبعيد فينادي، وليس هو بغير المنتبه فينادي، وصيغة النداء اللهم، صيغة خاصة لله سبحانه وتعالى للتعظيم. وإذا كان المعنى النحوي للنداء في النحو هو بإضمار الفعل أدعو أو أنادي، وهو فعل مباشر لدعوة البعيد أو القريب، أو الغافل، غير أنه يعني بالتحليل التداوليّ، أنا موجود بقرب الله، وأستطيع محادثته بيسر؛ لأنّ الفعل القولي حقق إنجازا تأثيرًا شدّ المستمع، فقد تكررت جملة اللَّهم ستّ مرات في هذا الدعاء، وتعاضدت معها صيغة النداء (يا إلهي) التي تكررت ثلاث مرات، مع حذف ياء النداء، في مرة واحدة، للاستعجال، وهذه الصيغة تعطينا فكرة عن (الاستلزام الحواري) الذي يؤدي وظيفة توضيح الاختلاف بين (ما يقال) و (ما يقصد) فما يقال هو الصيغة المباشرة للألفاظ، أما ما يقصد فهو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر، وقد سار الحوار بطريقة سلسة، إقناعية، وقد خلت مفرداتها من الغموض، ونستطيع أن نلحظ في هذا الدعاء، أنّ صبيغة لا النافية للجنس، قد وردت ثلاث مرات في المقطع الأول، لتؤكد ضعف الإنسان أمام الله، فقد نفى نفيًا قاطعًا، مستغرقًا للجنس وجود أيّ صاحب معه أو مؤيد له، أو مسكن ما لروعه. فنستطيع القول هنا إنّ ما يقصده الأمام السجاد عليه السلام هو وحدته في هذا العصر، وأنه لا ناصر له، وليس ثمة مسكن الألمه. ولو الحظنا خوفه من حظر الرزق، أدركنا أنه يقصد أنّ الرزق الذي يهبه الله سبحانه وتعالى هو ليس له شخصيًا، بل للمعوزين الذين يوزعه عليهم ليلاً.

ومن الانفعالات النفسية الموجود في الدعاء هو الحزن، وهو انفعال مضاد للفرح والسرور، ويحدث إذا فقد الإنسان شخصا عزيزا، أو حلت به كارثة ما، وفي القرآن الكريم يقترن الحزن مع الخوف، ويشير القرآن الكريم إلى أن الايمان بالله والعمل الصالح وقاية من الخوف والحزن، قال تعالى {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا اللهِ أَن الايمان بالله والعمل الصالح وقاية من الخوف والحزن، قال تعالى (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا اللهِ أَن الايمان بالله والعمل الصالح وقاية من الخوف والحزن، قال تعالى (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا اللهِ أَن اللهِ قَمْن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة، ٣٨) (٢٦). ولما كان الدعاء كله قد قيل إذا أحزنه أمر ما، أدركنا مقدار الحزن المبثوث فيه، لكن الحزن لا يظهر مباشرة،

بل عبر ما يسمى (التعاون الحواري) أو (استراتيجية الاستنتاج) فعندما نقول: (ما أطيب رائحة طعامك) فلا نريد إظهار الاعجاب بالرائحة بل نريد أن ندفع صاحب الطعام إلى دعوتنا إلى مشاركته، فيكون الكلام متضمناً لفعل انجازي غير مباشر الباعث عليه وهو الاستحياء أو التأدب بالحديث كما يقول (سيرل). وعندما يخاطب الله سبحانه وتعالى بـ ((وَقَرّعْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ، وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ، وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ)) فإنه يعرف أن الله سبحانه يدرك حزنه، ويشعر به؛ لأن ذكر الله وطاعته، تساعدان في تقليل الحزن والخوف والوجل.

ويلحظ هنا كثرت استخدام ياء المتكلم (ضغفتُ، أشرفتُ، أصبحتُ، أمسيتُ، وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي..) مع نسبة عالية من الضمائر تعود على المتحدث، وكلها تدل على الاعتراف، والخضوع إلى الذات الإلهية. ومن الانفعالات الأخرى في هذا الدعاء هو الطمأنينة، وهي من الأفعال التعبيرية النفسية التي تعني السكون بعد الاضطراب، وهي "سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان وهي سكون أمن في استراحة أنس" (٢٧) وتقوم الطمأنينة على أساس الايمان بالله والأنس به. ونلحظ في هذا الدعاء مجموعة من الأفعال الطلبية التي جاءت بصيغة (افْعَلُ) مثل (أنجز، تمم، أشعر، استعمل، هب، أمنن، ..) وقد خرجت من صيغة الأمر إلى صيغة الالتماس، والملحظ التداولي هنا، أنّ الداعي لا يحتاج هنا إلى أشياء مادية، بل يحتاج إلى ما يحقق له الطمأنينة ((وَهَبُ لِي الأُنْسَ بِكَ وَبِأَوْلِيَ آئِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِك، وَلاَ تَجْعَلُ لِفَاجِر وَلاكَافِر عَلَيَّ مِنَّةً، وَلاَ لَهُ عِنْدِي يَداً، وَلا بِي إلَيْهِمْ حَاجَةً، بَل اجْعَلْ سُكُونَ قَلْبِي وَأَنْسَ نَفْسِي وَاسْتِغْنَائِي وَكِفَايَتِي بِكَ وَبِخِيَالٍ خَلْك،) وتتحق الطمأنينة هنا بالاستغناء عن الأخرين، والأنس بالله سبحانه وتعالى، وبخيار الخلق، واستخدام حرف العطف الواو، جعل خيار الخلق بمنزلة قريبة من الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

في ضوء ما سبق يمكننا تلخيص أهم نتائج البحث، كما يأتي:

- للغة سلطة على المنشئ، والمستعمل لها، لأنها مجموعة من الأنظمة التي تعارف الناس بها للتواصل، وعن طريق اللغة يمكننا التأثير بالأخرين، وتغيير قناعاتهم، ونستطيع أن نتجاوز هذه السلطة عن طريق

الأدب أو عن طريق الدعاء، كما فعل الإمام السجاد عليه السلام.

- عاش الإمام السجاد في عصر خطر، ومرحلة حرجة، فقد استشهد والدده الإمام الحسين (عليه السلام) على يد السلطة الأموية الحاكمة، وقد كانت السلطة تراقب حركات المعارضين لها، وخاصة الأسرة العلوية، وقد استطاع الإمام السجاد (عليه السلام) أن يعبر عن حياته، ومشاعره، وآرائه في هذا العصر عن طريق الدعاء.
- الدعاء فن أدبيّ، وقد استطاع عليه السلام من خلال الدعاء أن ينشئ خطابا إنسانيًا، بمستوى فني راق، ولم يكن مجرد خطاب مغلق بين الإنسان وخالقه، من أجل مطالب خاصة، بل كان خطابا موجها يحمل الرسالة المحمدية، ومعاناة الناس في الوقت نفسه، واستطاع عليه السلام أن يقدم آراءه بطريقة إقناعية وليست تعسفية.
- للدعاء الذي قدمه الإمام السجاد، امتداد قرآني؛ لأنه ضمّن دعاءه الكثير من الأيات القرآنية، فضلا عن السمت الأدبي القرآني الذي اتسم به أسلوب الدعاء. ويلحظ في هذا الدعاء الكثير من الانفعالات النفسية المشتركة بين بني البشر جميعا، مثل: الخوف، والوجل، والروع، والشعور بالإثم، والضعف، والخوف من حظر الرزق، والشعور بالوحدة، والفرح، والحزن، والشكر.
- للصحيفة السجادية أهمية أدبية متميزة في الدراسات الأدبية المعاصرة، وأنها صالحة لتطبيق المناهج النقدية الحديثة عليها. وقد استطاع الإمام عليه السلام إنشاء خطاب تواصلي إقناعي مع الآخر المختلف أو المتفق معه، واستطاع تخطي السلطة اللغوية، والتغلب عليها، من خلال الدعاء، واستعمال الكلمة استعمالاً موفقا، من أجل الخير، وليس من أجل السلطة الدنيوية التي يسعى لها أصحاب السياسة، ومخاطبة الله سبحانه وتعالى، بضمير المفرد المتكلم أو ضمير الجماعة.
- للدعاء في الصحيفة السجادية مقاصد خفية، وأخرى واضحة، فمن خلال ما يسمى بـ (التعاون الحواري) أو (استراتيجية الاستنتاج) في المصطلح التداولي، وهو أن نقول كلاما ما عن طريق اللفظ، لكن المقصود به شيئا آخر، وحاولت الدراسة بيان بعض ما خفى من مقاصد الصحيفة.

الهوامش:

(١) ابن جنى، الخصائص، تح محمد على النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٤.

(٢) فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة: يوسف يوئيل، جامعة الموصل، ص ٢٤

^(۳) المصدر السابق، ص ۲٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٣١.

(°) نؤم جومسكي، البنى النحوية، ت د يوئيل يوسف عزيز، مراجعة الدكتور مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ۱۹۸۷، ص ٢٣.

(٦) نعوم جومسكي، البني النحوية، ٢٤.

(Y) الدكتور مجيد الماشطة، شظايا لسانية، دار السياب، لندن، ٢٠٠٨، ص ٧ ـ ٨.

(^) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٢٤ـ ٢٢٥.

(٩) رولان بارط، درس السيمولوجيا، ت: ع بنعبد العالى، دار توبقال، الرباط، ط٣، ١٩٩٣.

(١٠) د. عبد السلام المسدّى، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٨٧_ ١٨٨.

(۱۱) جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة "دول".

(۱۲) الدكتور جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ۲۰۱۵، ص ۸۵٪

(١٣) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ت صابر الحباشة، دار الحوار، سورية ٢٠٠٧، ص ١٧.

(١٤) التواصل والحجاج، د. طه عبد الرحمن، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، بلات، ص ١١.

(۱۰) تبسيط التداولية، د، بهاء الدين محمد مزيد، القاهرة، ۲۰۱۰، ص ۱۸.

(۱۱) شطایا لسانیه، ص ۸۷ ـ ۸۸.

(۱۷) التداوليات وتحليل الخطاب، ص ١٠.

(۱۸) شظایا لسانیة، ص ۹۱.

(۱۹) اللسان، مادة خطب.

(٢٠) د. وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٧.

(۲۱) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ۲۰۰٤، ص ٤٥ ـ ٤٩.

(٢٢) د. محمد كريم الكواز، النص والخطاب في الصحيفة السجادية، كلية الإمام الكاظم، بغداد، ٢٠١٢، ص ١٤١.

(۲۳) الصحيفة السجادية ص ١٥٨.

(۲٤) در س السيمولوجيا، ص ١٤.

(٢٥) الصحيفة السجادية، ١٢٢.

(٢٦) الدكتور عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧. ص ١٤٧.

(۲۷) استراتیجیات الخطاب، مصدر سابق، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٦.

(۲۸) المصدر السابق، ص ٤٤٧.

(۲۹) الصحيفة السجادية، ٦٥.

- (٣٠) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ت: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، ١٩٩١
 - (٣١) المصدر السابق، ص
 - (۳۲) المصدر السابق، ص ۱۷٤.
 - (٣٣) المصدر السابق، ص ١٨٢.
 - (٢٤) زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الجيل، بيروت، ج٢، بلات، ص ٤٩.
 - (٣٠) الدكتور مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨، ص ٢٢٠.
 - (٣٦) الدكتور محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ٢٠٠١، ص ١٠١.
 - (٣٧) عبد الله الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩.

المصيادر

- ١. ابن جني، الخصائص، تح محمد على النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
 - ٢. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ٣. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ت: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، ١٩٩١.
 - ٤. بارط، رولان، درس السيمولوجيا، ت: ع بنعبد العالى، دار توبقال، الرباط، ط٣، ١٩٩٣.
 - ٥. بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ت صابر الحباشة، دار الحوار، سورية ٢٠٠٧.
- جومسكي، نؤم، البنى النحوية، ت د يوئيل يوسف عزيز، مراجعة الدكتور مجيد الماشطة، دار الشؤون
 الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.
 - ٧. حمداوي، الدكتور جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ٢٠١٥.
 - ٨. دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة: يوسف يوئيل، جامعة الموصل.
 - ٩. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤.
 - ١٠. عبد الرحمن، د. طه، التواصل والحجاج، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، بلات.
 - ١١. الكواز، د. محمد كريم، النص والخطاب في الصحيفة السجادية، كلية الإمام الكاظم، بغداد، ٢٠١٢.
 - ١٢. الماشطة، الدكتور، شظايا لسانية، دار السياب، لندن، ٢٠٠٨.
 - ١٣. مبارك، زكي، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الجيل، بيروت، ج٢، بلات.

- ١٤. المخزومي، الدكتور مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨.
 - ١٥. مزيد، د، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، القاهرة، ٢٠١٠.
 - ١٦. المسدي، الدكتور عبد السلام، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧.
 - ١٧. منير، وليد، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧.
- ١٨. نجاتي، الدكتور محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ٢٠٠١، ص١٠١.
 - ١٩. الهروي، عبد الله، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت.